

منهج السلف في الدفاع عن العقيدة

د. عبدالمجيد بن محمد الوعلان

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

"الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنة المضلين"¹.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بعث نبيه بالحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

موضوع البحث:

منهج السلف في الدفاع عن العقيدة.

مشكلة البحث:

إن الدفاع عن العقيدة من أهم الأمور، - وقد زعم بعض الناس أن السلف ليس لهم منهجاً يسيرون عليه في دفاعهم عن العقيدة، وإنما هي اجتهادات فردية ليست مبنية على أصول وقواعد وضوابط، - ولأهمية هذا الموضوع وخصوصاً في هذا الوقت الذي نحن بأمس الحاجة لبيان منهج السلف في الدفاع عن العقيدة حتى نحتذي حذوهم في الدفاع عنها، ليحصل التوفيق - بإذن الله-، وحتى لا يلحق بمنهج السلف ما ليس منه من أخطاء قد تقع بسبب اجتهاد أو زلة أو نحو ذلك.

حدود البحث:

سيقتصر البحث على:

(1) انظر: مقدمة كتاب الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل.

أولاً: بيان مشروعية الدفاع عن العقيدة.

ثانياً: أسباب الدفاع عن عقيدة السلف.

ثالثاً: أهم خصائص وسمات منهج السلف في الدفاع عن العقيدة.

رابعاً: المنهج العلمي للسلف في الدفاع عن العقيدة.

خامساً: المنهج الأخلاقي للسلف في الدفاع عن العقيدة.

مصطلحات البحث:

الخصائص: جمع الخَصِيصَة: وهي الصفة التي تميز الشيء وتحدده¹.

السمات: جمع سَمَة، وهي: خَصْلَة أو سَجِيَّة ما يمكن أن يعتمد عليها في التفريق بين شخص معين

وآخر².

الدراسات السابقة:

بمراجعة الباحث للمظان العلمية للدراسات المتعلقة بالبحث؛ وقف الباحث على عدد من الرسائل العلمية والمؤلفات التي تعنى ببيان جهود السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها، والرد على المخالف³ مع تركيزها على جهودهم، وهذا البحث يعنى ببيان الأسباب والدوافع عند السلف في الدفاع عن العقيدة مع ذكر أهم الخصائص والسمات، والمنهج العلمي والأخلاقي.

أهداف البحث:

- 1- بيان مشروعية الدفاع عن العقيدة.
- 2- أسباب دفاع السلف عن العقيدة.
- 3- بيان منهج السلف في الدفاع عن العقيدة.

¹ معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد: 652/1.

² المرجع السابق: 2442/3.

³ ولمعرفة بعض ما كتبه علماء السلف في الدفاع عن العقيدة وتقريرها انظر: المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية، لمحمد المغراوي، وتاريخ تدوين العقيدة السلفية، لعبد السلام آل عبد الكريم، ومجموعة من الرسائل العلمية الجامعية بعنوان: جهود علماء السلف في تقرير العقيدة والدفاع عنها، ومنهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د. ناصر الحنيني، وتدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة، ليوسف بن علي الطريف.

أسئلة البحث:

- 1- ما مشروعية الدفاع عن العقيدة؟
- 2- ما أسباب دفاع السلف عن العقيدة؟
- 3- ما منهج السلف في الدفاع عن العقيدة؟

منهج البحث وإجراءاته:

سلك الباحث في دراسته المنهج الوصفي، حيث يقوم بقراءة وتحليل واستنباط المادة العلمية ذات الصلة بمحاور الدراسة من مظانها العلمية، بما يخدم الدراسة ويحقق أهدافها. وسيعزو الآيات إلى أماكنها في القرآن، وذلك ببيان اسم السورة ورقم الآية ووضعها بين قوسين ﴿﴾، ويخرج الأحاديث والآثار، وذلك بذكر المصدر ورقم الحديث، ونقل كلام أهل العلم عليها إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.

خطة البحث

تشتمل خطة البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.
المقدمة: وتشتمل على موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، ومصطلحاته، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهجه وإجراءاته، وخطة البحث.

التمهيد: يشمل على ثلاث مباحث:

المبحث الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف السلف لغة واصطلاحاً.

المبحث الثالث: بيان أهمية معرفة منهج السلف في الدفاع عن العقيدة.

الفصل الأول: بيان مشروعية الدفاع عن العقيدة.

الفصل الثاني: أسباب دفاع السلف عن العقيدة ومنها:

1- حفظ الدين، وبيان كمال هذه الشريعة.

2- كشف شبهات المبطلين، واستبانة سبيل المجرمين.

3- خطورة انتشار العقائد الضالة على المجتمع المسلم، وظهور التفرق والاختلاف في الأمة.

4- جواب السؤال، والحاجة إلى البيان.

5- ظهور أو انتشار بدعة أو مخالفة معينة بين المسلمين.

الفصل الثالث: منهج السلف في الدفاع عن العقيدة ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: خصائص وسمات منهج السلف في الدفاع عن العقيدة وهي:

1- الاستدلال بالكتاب والسنة والتسليم لها.

2- الاسترشاد بفهم الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

3- الاستدلال بالأدلة العقلية، والفطرة.

4- رد الأفكار والتأويلات الباطلة.

5- تقدير المصلحة والمفسدة في الرد.

6- ترك الجدل والمراء والخصومة في الدين.

7- ذم البدع والأهواء.

8- الأهلية والاستقامة.

المبحث الثاني: المنهج العلمي للسلف في الدفاع عن العقيدة:

1- العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه.

2- تقديم النقل على العقل وعدم معارضة النصوص بالقواعد العقلية.

3- الرجوع إلى اللغة.

4- التركيز في الدفاع عن العقيدة على نفس المعتقد بغض النظر عن قائله، وقد يذكرونه

أحياناً؛ إذا اقتضت المصلحة.

5- الالتزام بالمصطلحات الشرعية.

6- وضوح الأسلوب، وحسن الصياغة.

7- توثيق كلام المردود عليهم من كتبهم.

المبحث الثالث: المنهج الأخلاقي للسلف في الدفاع عن العقيدة:

1- العدل والإنصاف.

2- سلامة الصدر.

3- التواضع.

4- إحسان الظن.

5- الرحمة.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج، والتوصيات.

أسأل الله - عز وجل - أن يكون خالصا لوجه الكريم.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

د: عبد المجيد بن محمد الوعلان

awalaan@gmail.com

التمهيد

المبحث الأول: تعريف المنهج لغة واصطلاحاً

المنهج لغة: مفعول من مادة "نحج" ينهج نھجاً، وهو الطريق المستقيم البين. ونهج الطريق: أبانه، وأوضحه، ونهجه: سلكه، والمنهاج: الطريق الواضح¹.

واستنهج الطريق: صار نھجاً، وفلان نھج سبيل فلان، أي: سلك مسلكه²، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ

جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: " سبيلاً وسنة"³.

أما تعريفه في الاصطلاح: فقد عرف بتعريفات كثيرة منها:

- 1- هو الطريق المؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، والتي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة.
- 2- هو القانون أو القاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية في أي مجال.
- 3- القواعد العلمية التي يسلكها العقل في حركته للبحث عن الحقيقة في أي مجال من مجالات المعرفة⁴.

وهذه التعريفات واحدة في المعنى وإن اختلف التعبير عنها باللفظ، لأن مدارها على القواعد التي يسير بها الباحث عند إرادته بحث أي مسألة علمية⁵.

"وكان العلماء المسلمون يعبرون عن المنهج بالأصول والقواعد"⁶.

¹ مختار الصحاح، للرازي: 585.

² القاموس المحيط، للفيروزآبادي: 190.

³ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس": 25.

⁴ انظر: العلم والبحث العلمي، لحسين رشوان: 143، ومنهج البحث العلمي عند العرب، لجلال موسى: 271، ومناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي.

⁵ مناهج البحث في العقيدة، د. يوسف السعيد: 263.

⁶ منهج كتابة التاريخ الإسلامي، د. محمد بن صامل السلمي: 89.

المبحث الثاني: تعريف السلف لغة واصطلاحاً

السلف اللغة:

يقال: سَلَفَ يَسْلُفُ وسُلُوفًا. والسالف: المتقدم، والسلف والسليف والسُلْفَةُ: الجماعة المتقدمون. والقوم السُلاف: المتقدمون. وسَلَفُ الرجل آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف وسُلاف. والسلف: من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل، وأحدهم سالف. والأمم السالفة: الأمم الغابرة أو الماضية وتجمع على سوافل¹.

المراد بالسلف:

يراد بهم تاريخياً: أصحاب القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيرية²، وذلك في الحديث الذي رواه عن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خير أمي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً، "ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن"³.

فأصحاب هذه القرون أفضل الأمة وأكرم الخلق بعد النبيين، وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون والأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرابتهم، قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ من المَهَجِيِّينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: 100].

وقد أخرج النبي صلى الله عليه وسلم ببقاء هذه الطائفة فقال: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك"⁴، وقال صلى الله عليه

¹ انظر: تهذيب اللغة، للأزهري: 431/12-432 مادة سلف"، ولسان العرب، لابن منظور: 2068/3-2070 مادة "سلف"، والقاموس المحيط: 738.

² انظر: الرسالة التدمرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية: 236، ولوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، للسفاريني: 20/1، وشرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي: 28.

³ رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم، رقم (3650).

⁴ صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم (3641).

وسلم: " وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"¹.

فيتضح من الحديثين السابقين بقاء هذه الطائفة، وأنها من كان على مثل ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم السلف، فالعبرة في ذلك بالطريقة التي ساروا عليها والمنهج الذي سلكوه، فمن تمسك بالكتاب والسنة وسار على نهج الصحابة والتابعين في فهمهما والعمل بهما فهو منهم؛ وإن عاش في القرون المتأخرة، ومن خالف منهجهم فليس منهم وإن عاش بين أظهرهم.

¹ سنن أبي داود، كتاب السنة، باب: شرح السنة رقم (4596)، وسنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة رقم (2640)، وقال: "حديث حسن صحيح".

المبحث الثالث: بيان أهمية معرفة منهج السلف في الدفاع عن العقيدة:

إن العناية بمعرفة منهج السلف في الدفاع عن العقيدة هو من العناية بالعقيدة الإسلامية نفسها؛ لأن في ذلك اهتمام بها، وتلمس لمصادرها، وتصفية لها مما يشوبها من البدع، وتلق لها عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

"فمعرفة منهج السلف في الدفاع عن العقيدة يعطي الباحث قوة في الاستدلال والرد على المخالفين؛ نظراً لوضوح الأثر القوي والفعال في كتب السلف مع أنها أقل بكثير من كتب المتأخرين، وكذلك فإن قوة بعض علماء أهل السنة العلمية التي ظهرت من خلال تقريرهم لمسائل الاعتقاد والرد على المخالفين، كان من أعظم الأسباب: اعتمادهم على منهج السلف في تقرير وتدوين مسائل العقيدة... وتبرز الأهمية أكثر في العصور المتأخرة التي قل فيها العلم المؤصل على المنهج الصحيح والله المستعان"¹.

قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: " من كان مستنئاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أير هذه الأمة قلوباً، وأعماقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بمهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"².

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: " هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب يُنال به علم أو يُدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا"³.

وقال ابن رجب -رحمه الله تعالى-: " وفي كلامهم -أي السلف- من رد الأقوال المخالفة للسنة بألطف إشارة وأحسن عبارة بحيث يغني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم؛ بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه. ... وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة، ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلا وفي كلامهم ما يُبين بطلانه لمن فهمه وتأمله، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدى إليه من بعدهم ولا يلم به.

¹ منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ناصر بن يحيى الحيني: 68/1.

² مجموع الفتاوى، لابن تيمية: 126/3، وأورد ابن عبد البر نحوه في جامع بيان العلم وفضله، رقم (1811): 948/2.

³ مجموع الفتاوى: 157/4، وانظر: اهتمام علماء المسلمين بعقيدة السلف، د. أبو اليزيد العجمي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (15) الصادر عام 1406هـ.

فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم، قال الأوزاعي: " العلم ما جاء به أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما كان غير ذلك فليس بعلم" ¹، " ².

وتكمن أهمية معرفة منهج السلف في الدفاع عن العقيدة في وضع منهج واضح المعالم في الرد والمناقشة للمخالفين فإن "مما يظهر أهمية الرد على المخالفين والدفاع عن عقيدة الأمة: وضع منهج واضح للعلماء، ولطلبة العلم إذا أرادوا إبطال أي شبهة أو الرد على أي انحراف، بحيث تؤدي هذه الجهود المباركة ثمارها المرجوة منها من تصحيح لما فسد في المعتقد، وإبطال لتلبيس الملبسين، وغيرها من الثمار، والمصالح التي تنتج عن الالتزام بالمنهج الصحيح في الرد والمناقشة.

ومن هنا نؤكد على أهمية الدفاع عن العقيدة والرد على المبطلين ليس لأجل الرد على أهل الباطل فحسب، بل لأجل وضع منهج واضح المعالم لمن يأتي من أجيال الأمة" ³.

¹ جامع بيان العلم وفضله رقم (1067)، (1421): (618/1، 769/1).

² فضل علم السلف على الخلف،: 34-42.

³ منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة: 834/2.

الفصل الأول:

بيان مشروعية الدفاع عن العقيدة

إن الدفاع عن العقيدة من أهم المهمات فهو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو في مكة: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: الآية 52]، فهو جهاد بالحجة والبيان. وقال صلى الله عليه وسلم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"¹. وسأنتقل في هذا الفصل من كلام أهل العلم ما يبين مشروعية الدفاع عن العقيدة، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى عصرنا هذا.

قال الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -: "فهذه أبحاث، من ضنائن العلم، وغواليه، لأنها تحمل إعلان الصوت الإسلامي عالياً، والقلم له راقماً، بإظهار شعار من شعائر علماء الأمة الإسلامية، وبيان وظيفة من وظائفهم المليية، وتقدير أصول من أصولها التعبديّة هو: "مشروعية الرد على كل مخالف بمخالفته، وأخذه بذنبه، وإدانتته بجريرته، "ولا يجني جانٍ إلا على نفسه".

كل هذا "الحراسة الدين" وحمایته من العاديّات عليه، وعلى أهله، من خلال هذه "الوظيفة الجهادية" التي دأبها: الحنين إلى الدين، والرحمة بالإنسانية، لتعيش تحت مظلتها: تكف العدوان، وتصد المعتدين، وتُقيم سوق الأمر بالمعروف، ورأسه "التوحيد"، والنهي عن المنكر وأصله "الشرك".

...وتُقيم: طول الإسلام، وقوته، وظهوره، على الدين كله ولو كره المشركون، وتحطم الأهواء ولو كره المبتدعون، والفجور ولو كره الفاسقون، والجور ولو كره الظالمون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - رحمه الله تعالى - في بيان منزلة هذه الوظيفة: " فالمرصدون للعلم، عليهم للأمة حفظ الدين، وتبليغه، فإذا لم يبلغوهم علم الدين، أو ضيعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: 159]. فإن ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها، فلعنهم اللاعنون حتى البهائم"².

¹ سنن أبي داود: كتاب الجهاد، باب: كراهية ترك الغزو، رقم (2504).

² مجموع الفتاوى: 347/6.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في موقف أهل السنة من دفع البدعة: " واشتد نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها، من أقطار الأرض وحذروا فتنهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم، والعدوان، إذ مضرة البدع، وهدمها للدين، ومنافاتها له أشد"¹.

... والمراد بهذه الأبحاث، حمل النفوس، على أعمال هذه السنة الماضية، في حياة المسلمين الجهادية الدفاعية، عن حرمت الإسلام، وأنها من حقوق الله التعبدية، من جنس الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لاسيما والحاجة إليها ملحة في هذه الأزمنة.

... ألا إن النفي خفياً وثقلاً، لنث السهام من كنانة الحق للرد على هؤلاء - أي أصحاب الدعوات الباطلة - وأمثالهم، ونقض شبههم، وكشف فتونهم، وتعريتهم، هو من حق الله على عباده، وحق المسلمين على علمائهم، في رد كل مخالف ومخالفته، ومضل وضالته، ومخطئ وخطئه، وزلة عالم وشذوذ، حتى لا تتداعى الأهواء على المسلمين تعثوا فساداً في فطرتهم، وتقصم وحدتهم، وتؤول بدينهم إلى دين مبدل، وشر محرف، وركام من النحل والأهواء.

وهذا سير على أصل الاعتقاد، ووصل لحياة السلف الجهادية الدفاعية، واتصال بها، باللسانين: القلم واللسان، في تاريخهم الحافل الطويل.

... وقد بلغ جهد المصلحين الجهادي في هذا مبلغاً عظيماً فلا بسوا الحياة علماء وعملاً، ومحسوا الحقائق، وحصص الحق على أيديهم، بمواقف لا تتخذ من دون الله ولا رسوله وليجة.

وهم في هذا الخط الدفاعي، بردم كل مخالفة للدين من داخل الصف أو خارجه، ينطلقون من الأصل العقدي المعلوم في سلم المسلمات من أصول الإسلام "مشروعية الرد على المخالف"، في كل خصومة ملدة لهذا الدين من أهل الملل الكافرة، والأهواء الضالة، والبدع الزائفة، لهتك أستارهم، وكسر شوكتهم، وكف بأسهم، وأهوائهم، وبدعهم، وضلالاتهم عن المسلمين...

وما زال هذا الأصل العقدي جارياً في حياة الأمة، يقوم به من شاء الله من علمائها، يؤدون به الواجب عن أنفسهم، وإخوانهم في الدين، فهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم.

"والمقصود أن هذه الأمة - والله الحمد- لم يزل فيها من يتفطن لما في كلام أهل الباطل من الباطل ويرده، وهم لما هداهم الله به، يتوافقون في قبول الحق، ورد الباطل رأياً ورواية من غير تشاعر، ولا تواطؤ"².

...ومن استقرأ الوحيين الشريفين رأى في موقف الأنبياء مع أممهم، والمصلحين مع أهليهم، مواقف الحجاج والمجادلة، والرد على كل ضلالة ومخالفة، وهكذا ورثتهم من بعدهم على تطاول القرون.

¹ مدارج السالكين، لابن القيم: 372/1، وانظر: زاد المعاد: 495/3، فقه غزوة الطائف.

² مجموع الفتاوى: 233/9.

وهذه المواقف أدلة عملية على المشروعية، بجانب الأدلة القولية فيلبي بيانها وسيقاها:

1: في القرآن الكريم:

بين الله سبحانه في الآيات [36-39] من سورة النحل وظائف الرسل في دعوتهم، فيقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ (٣٩)،... فيبيان الخلاف بإظهار الحق من الباطل مقصد عظيم من مقاصد بعثة الرسل، لتزول عن الأمة غشاوة الخلاف الطائش، والاختلاف الجائر.

ولهذا نجد مجموعة وافرة من الآيات في الجدل والمحاجة، وإقامة الحجة والبرهان، لإقامة الدين وظهوره وحراسته. قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) [النحل: 125]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111).

قال أبو إسحاق الجويني -رحمه الله تعالى- بعد سياق بعض النصوص، ومنها هاتان الآيتان: " وهذه الألفاظ عموم في التوحيد والشرعية، وهي أيضاً سيرة الرسل -عليهم السلام- مع أممهم، وسيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم وسيرة علماء الصحابة -رضي الله عنهم- بعده، ومن بعدهم من التابعين وأتباعهم، إلى يومنا هذا، وعليه عادة العقلاء في أديانهم، ومعاملاتهم ومعاشراتهم"¹.

2: في السنة النبوية:

في نصوصها: قولاً، وفعلاً، وتقريراً، في عامة أبواب التوحيد، والشرعية، ترى وقائع كثيرة، يرد بها النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس حقاً: وكان في فاتحتها ذلك الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين: "

¹ الكافية في الجدل، لإمام الحرمين الجويني: 23.

اعدل"، فقال له صلى الله عليه وسلم راداً عليه مخالفته المنكرة: " فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر"¹.

وتعتبر هذه أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية.

ورد صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون رضى الله عنه التبتل².

ورد صلى الله عليه وسلم على من حرم بعض المطاعم، والمناكح³.

وحاج صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران عندما سألوه ما تقول في عيسى -عليه السلام: " ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى -عليه السلام- فأصبح، وقد أنزل الله في عيسى -عليه السلام: {إِيتَ مَثَلٌ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ وَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦١﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاؤَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ [آل عمران: 61-59]⁴.

وفي استنباط فوائدها، يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: " ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك بل وجوبه، إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحججة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحججة فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين المطي وحاديها، والقوس وباريها"⁵.

3: وفي طبقة الصحابة -رضي الله عنهم⁶:

¹ صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس، رقم (3150).

² صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب: ما يكره من التبتل والخصاء، رقم (5073).

³ صحيح مسلم: كتاب النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، رقم (1401).

⁴ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 375/1.

⁵ زاد المعاد: 42/3.

⁶ انظر: مجموع الفتاوى: 182/3، 230، 279.

حملوا هذه الروح الجهادية الدفاعية، بما اقتضه الشريعة: قولاً وفعلاً، وتقريراً في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فقاموا بواجب هذه الحمالة لهذا الأصل العقدي خير قيام، من رد البدع، والأهواء المضلة، والدفع في نحورها وأعجازها، لإبطالها ووأدها، من أول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج".

ثم ذكر الشيخ بكر - رحمه الله - : طبقة التابعين ومن بعدهم، ثم قال¹: " فالرد على أهل البدع والأهواء: باب شريف من أبواب الجهاد عظيم وكيف لا يكونون كذلك، وهم في مواقع الحراسة، وأفضل الجهاد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - رحمه الله تعالى: " فالرد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحيى بن يحيى، يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد"².

وفي بيان قدر هذه المنزلة الجهادية بالقلم واللسان يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - رحمه الله تعالى - : " وإذا كان النصح واجباً في المصالح الدينية الخاصة والعامة، مثل، نقلة الحديث الذي يغلطون أو يكذبون، كما قال يحيى بن سعيد: سألت مالكا، والثوري، والليث بن سعد -أظنه- والأوزاعي عن الرجل يتهم في الحديث أو يحفظ؟ فقالوا: بين أمره. وقال بعضهم لأحمد بن حنبل: إنه يثقل علي أن أقول فلان كذا، وفلان كذا. فقال: إذا سكت أنت، وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟! ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل"³.

هذا مجمل تاريخي استدلاي على تثبيت هذا الأصل العقدي، ردع البدع، والمخالفات، والأهواء، ومقارعة أهلها، وكشفهم، ومعرفتهم بأعيانهم، وإبطال بدعهم خوفاً من عاديتهم على أهل السنة، ونصحاً لهم بل لله، ولرسوله ودينه وأئمة المسلمين، وعامتهم.

فاتضح من هذا عقلاً وشرعاً أن: " من حق الله على عباده رد الطاعنين على كتابه ورسوله، ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسيوف والسنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان"⁴.

¹ الرد على المخالف من أصول الإسلام: 40.

² المرجع السابق: 13/4.

³ المرجع السابق: 464/12.

⁴ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم: 232. وانظر: الرد على المخالف من أصول الإسلام، للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: 7-47، باختصار.

فالرد على المخالف أصل من أصول الدين، بل هو مقتضى شهادة التوحيد التي قال الله تعالى عنها:

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256]، ولذا تضمنت الدعوة إلى الله غايتين، لا تصح الدعوة إلا بهما، وهما ركناهما: الركن الأول: تقرير الدين والعقيدة والشريعة، وتعلمها والعمل بها ونشرها، الركن الثاني: حماية الدين والعقيدة والشريعة، والدفاع عنها، وبيان ما يخالفها، وكل ذلك من منهج القرآن الكريم، وعليه عمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأئمة السلف رحمهم الله¹.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: " متى سكت أهل الحق عن بيان أخطاء المخطئين، وأغلاط الغالطين، لم يحصل منهم ما أمرهم الله به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعلوم ما يترتب على ذلك من إثم الساكت عن إنكار المنكر، وبقاء الغلط على غلظه، والمخالف للحق على خطئه، وذلك خلاف ما شرعه الله من النصيحة والتعاون على الخير"².

والمعروف المشتهر أن أئمة الدعوة النجدية عرفوا بكثرة ردودهم على مخالفي الكتاب والسنة وهم من جدد الدعوة السلفية في هذه البلاد المباركة وعلى رأسهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، والشيخ سليمان بن سمحان، والشيخ محمد بن إبراهيم رحم الله الجميع³. وهذا إنما كان لسيرهم على منهج السلف الصالح في هذه المسألة وغيرها من أصول الإسلام ومبانيه العظام.

ولا يزال هذا منهجهم إلى هذا العصر، فمنهم الشيخ عبدالعزيز بن باز في مجموع مقالات وفتاوى متنوعة، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان في كتاب البيان لأخطاء بعض الكتاب، والشيخ بكر أبو زيد في كتاب الردود، وغيرها كثير.

وكلام السلف -رحمهم الله- في بيان مشروعية وجوب الدفاع عن العقيدة أكثر من أن يحصى، وهو مبثوث في كتب العقائد، بل ولهم في ذلك مصنفات خاصة في نقض البدع بأصولها، بل وفي الرد على أهل البدع بأعيانهم، رحمهم الله ورضي عنهم.

¹ مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للشيخ ناصر العقل: 7/1.

² مجموع مقالات وفتاوى متنوعة، للشيخ عبدالعزيز بن باز: 68/3.

³ انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ففيه من الردود الشيء الكثير، الجزء الحادي عشر والثاني عشر والذي عنوانهما: مختصرات الردود.

الفصل الثاني

أسباب دفاع السلف عن العقيدة

سبق في الفصل الماضي بيان مشروعية الدفاع عن العقيدة بل وجوبها، ومن أجل ذلك قام السلف رحمهم الله بما أوجبه الله عليهم، وقد كان الدافع لهم لذلك مع ما سبق أسباب كثيرة، نذكر بعضاً منها:

أولاً: حفظ الدين وبيان كمال هذه الشريعة:

قد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ الدين فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: 9]، كما أكمله سبحانه وتعالى فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله-: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله أودعه الله في قلب رسوله، واستودعه في قلوب أمته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها، والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل. فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين¹.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى من أسباب حفظ الدين وبيان كماله ظهور المعارضين له من أهل الإفك المبين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- رحمه الله: " ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أبناء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ۗ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئدة الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ ۗ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتغىٰ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن

¹ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي: 429.

رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ { الأنعام: 112-115 }.

... وذلك أن الحق إذا جحد وعورض بالشبهات أقام الله -تعالى- له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة. ... فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر، ظهرت له البراهين، وقوي به اليقين، وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين.

والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل، ورام أن يقوم عوده المائل، أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وتبين أن صاحبه الأحمق كاذب مائق¹.

ثانياً: كشف شبهات المبطلين واستبانة سبيل المجرمين:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُقِصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُعْتَبِرُونَ﴾ [الأنعام: 55]، وذلك أن "من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علماً وعملاً فهو أعلم الخلق"². يقول الإمام الدارمي -رحمه الله-: "ولولا ما بدأكم هذا المعارض بإذاعة ضلالات المريسي وبثها فيكم ما اشتغلنا بذكر كلامه، مخافة أن يعلق بعض كلامه بقلوب بعض الجهال، فيلقيهم في شك من خالقهم. ... فخشينا ألا يسعنا إلا الإنكار على من بثها -يعني الشبهات- ودعا الناس إليها منافحة عن الله وتثبيتاً لصفاته العلى ولأسمائه الحسنى ودعاء إلى الطريقة المثلى ومحاماة عن ضعفاء الناس وأهل الغفلة من النساء والصبيان أن يضلوا بها ويفتنوا إذ بثها فيهم"³. ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام ممن لا يعرف الجاهلية"⁴.

قال الإمام ابن القيم - بعد أن ذكر كلام أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه: "... وهذا من كمال عمر رضى الله عنه، فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها، وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه من الجاهلية، فإنها منسوبة إلى الجهل، وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل، فمن لم يعرف سبيل

¹ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية: 60/1-64.

² الفوائد لابن القيم: 259.

³ نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل في التوحيد، للإمام الدارمي: 145-142/1.

⁴ المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم: 428/4 بنحوه وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي.

المجرمين ولم تستبن له أو شك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل، هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين، ودعا إليها، وكفر من خالفها، واستحل منه ما حرمه الله ورسوله، كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم، ممن ابتدع بدعة ودعا إليها وكفر من خالفها"¹.

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- في مقدمة شرحه للقصيدة الثائية في حل المشكلة القدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن في الرد على المخالف كشافاً لشبهاته وشكوكه، فقال: " وهذا النظم قد أتى فيه الشيخ بالعجب العجاب، وبين الحق الصريح، وكشف الشكوك والشبهات، التي طالما خالطت قلوب أذكياء العلماء، وحيرت كثير من أهل العلم الفضلاء"².

ثالثاً: خطورة انتشار العقائد الباطلة على المجتمع المسلم:

فإن انتشار العقائد الباطلة يؤدي إلى التفرق والاختلاف، وتترتب عليه الآثار السيئة على الأمة في جميع أمورها العقدية والاجتماعية والأخلاقية وغيرها؛ ولذلك حرص السلف -رحمهم الله- على رد تلك العقائد الباطلة لجمع كلمة المسلمين وردهم لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. قال الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- في مقال له بعنوان: "كيف نحارب الغزو الثقافي الغربي والشرقي"، قال: "إن أخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافي بأسلحته المتنوعة، من كتب وإذاعات وصحف ومجلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى"³.

ومن تلك الآثار التي تترتب على انتشار العقائد الباطلة هو الاختلاف والفرقة المذمومة، فالبدعة طريق سالك إلى الفرقة والاختلاف المذمومين، وقد ثبت ذم هذا الاختلاف في نصوص كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]، قال السيوطي -رحمه الله-: "أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنما هلك من كان قبلكم بالمرء والخصومات في دين الله"⁴.

¹ الفوائد: 257-258.

² الدرر البهية شرح العقيدة الثائية في حل المشكلة القدرية، للشيخ عبد الرحمن السعدي: 11.

³ مجلة البحوث الإسلامية، العدد 17 ص 7، والعدد 40 ص 139.

⁴ الدرر المنتور في التفسير بالمأثور، للسيوطي: 62/2.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 159]، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: "وكانوا شيعاً: أي فرقاً كأهل الملل والنحل والأهواء والضلالات فإن الله تعالى قد برأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هم فيه"¹.
 ومن أخطر آثارها أنه إذا تأصلت مثل هذه المحدثات واتخذها بعض المنتسبين إلى الإسلام معقداً للولاء والبراء فضلوا بذلك عن جادة الحق، حدث الشرخ بين هذه الجماعة وبين جماعة الإسلام الأصيلة المتمسكة بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.
 ومن الآثار كذلك موت السنة وضياعتها: فإنه لا تظهر بدعة إلا بموت سنة، ولا تظهر سنة إلا بدبول بدعة تعارضها، فعن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن"².

ومن الآثار كذلك: التفرق والتشردم والخروج عن الجماعة: قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: 65]، قال مجاهد: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ "الأهواء المفترقة"³.
 ومن الآثار كذلك: استحلال السيف في رقاب المسلمين واستباحة الأعراض والأموال المحرمة: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"⁴، فلا يستغرب لمن انتحل البدعة وخالف السنة أن تكون أولى ثمار بدعته هذه استحلال السيف في رقاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما حدث من الخوارج.
 قال أيوب السختياني -رحمه الله- وكان يسمى أصحاب البدع خوارج، ويقول: "إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف"⁵.
 إلى غير ذلك من الآثار التي تبين خطورة انتشار العقائد الباطلة على المجتمع المسلم.

رابعاً: جواب السؤال والحاجة إلى البيان:

¹ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: 204/2.
² شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، لأبي القاسم هبة الله الحسن اللالكائي: 92/1.
³ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري: 256/7.
⁴ صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ "لا ترجعوا بعدي كفاراً"، رقم (7077).
⁵ الاعتصام لأبي إسحاق الشاطبي: 65/1.

قد يكون الدافع عند السلف لكتابة الرد هو جواب لسؤال ورد عليهم عن شبهة أو بدعة أو نحو ذلك، سواء كان السؤال سؤال استفهام أو سؤال معاند أو غير ذلك.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: " وكان من أسباب نصر الدين وظهوره، أن كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديماً وحديثاً، من الحجج السمعية، والعقلية، فاقتضى ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب، لينتفع بذلك أولو الأبواب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب"¹.

ومن ذلك جواب شيخ الإسلام رحمه الله بقصيدته الثائية في حل المشكلة القدرية جواباً لسؤال ورد عليه من نصراي معاند قال في مطلعها:

سؤالك يا هذا سؤال معاند مخاصم رب العرش باري البرية²

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- عن هذه القصيدة: والشيخ - قدس الله روحه - نظمها جواباً لسؤال أورده عليه من قال: " إنه ذمي " ليشبهه على المسلمين، وليشككهم في أصول الدين"³.

خامساً: ظهور أو انتشار بدعة أو مخالفة معينة بين المسلمين:

ومن أسباب دفاع السلف عن العقيدة هو ظهور بدعة أو انتشارها بين المسلمين، وهذا الظهور أو الانتشار سواء كان عن طريق داعية يدعو لبدعته، أو خروج كتاب أو غير ذلك. فإن السلف -رحمهم الله- لا يزالون يردون على كل بدعة وضلالة تظهر وتنتشر بين المسلمين إلى وقتنا الحاضر.

ومن ذلك الشيخ نعمان بن محمود الألوسي البغدادي: ألف كتاباً سماه "الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح". وقد ذكر في سبب تأليفه له: أنه رأى في السنة 1304هـ أوراقاً مطبوعة في لندن سنة 1880م تتضمن -زوراً وبهتاناً- على تقديم دين النصارى على سائر الأديان، وطعناً لدين الإسلام فألف هذا الكتاب رداً على ذلك⁴.

ومن ذلك ما يصدر من بيانات وردود من هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، وردود فضيلة الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- والتي جمعت في خمس مجلدات بعنوان البيان

¹ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: 68/1.

² الدرّة البهية: 15.

³ المرجع السابق: 11-12.

⁴ الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح، نعمان الألوسي: 34.

لأخطاء بعض الكتاب، والتي يتعقب فيها -حفظه الله- بعض البدع والمخالفات التي تنشر في وسائل الإعلام.

الفصل الثالث:

منهج السلف في الدفاع عن العقيدة

نظراً لأهمية معرفة الخصائص والسمات التي يقوم عليها منهج السلف، وذلك للاسترشاد بها في فهم هذا المنهج فهماً صحيحاً، للسير على نهجه وتطبيقه، وللتعرف على أصحابه للتمييز بينهم وبين أصحاب سائر الاتجاهات الأخرى التي تدعى الانتساب إلى السلف الصالح، وحتى لا ينسب للسلف ومنهجهم ما ليس منه مما يصدر عن بعض ممن ينتسب لهم إما باجتهاد منه أو خطأ أو زلة أو غير ذلك. وسأذكر أهم تلك الخصائص والسمات، وسيكون ذلك في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: خصائص وسمات منهج السلف في الدفاع عن العقيدة:

يمتاز منهج السلف في الدفاع عن العقيدة بخصائص وسمات كثيرة منها:

أولاً: الاستدلال بالكتاب والسنة:

وهذا من أهم الخصائص التي يقوم عليها منهج السلف ولذا تجدهم يجمعون على الاستدلال بالكتاب والسنة في كافة أمورهم وفي جميع مسائل وقضايا الاعتقاد والتشريع والسلوك، وذلك باعتبارها حياً من الله - عز وجل - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فهم يستدلون بالكتاب والسنة لإيمانهم الجازم ويقينهم القاطع بأن كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق وصدق، وأن ما خالفه وعارضه باطل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وأما خبر الله ورسوله فهو صدق موافق لما الأمر عليه في نفسه، لا يجوز أن يكون شيء من أخباره باطلاً ولا مخالفاً لما هو الأمر عليه في نفسه، ويعلم من حيث الجملة أن كل ما عرض شيئاً من أخباره وناقضه فإنه باطل" ¹.

وكذلك لإيمانهم بكمال هذا الدين وبأن أصوله وفروعه ودلائله ومسائله قد جاء بيانها في الكتاب والسنة بياناً شافياً قاطعاً للعذر، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

¹ درء تعارض العقل والنقل: 255/5.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين أصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله، فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان، وكل من كان أعظم اعتصاماً بهذا الأصل كان أولى بالحق علماً وعملاً"¹.

ولذلك تجد أن السلف اعتنوا بالكتاب والسنة عناية فائقة تدل على صدق اعتمادهم عليهما، وذلك بحفظها وشرحها ودراستها وتفسيرها والرجوع إليها وتميز صحيح السنة من سقيمها.

ثم هم عند التنازع يردون إليهما امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " ما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات والقدر والوعيد والأسماء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله"².

ثانياً: الأخذ بفهم الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان:

من خصائص منهج السلف الرجوع إلى فهم الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ممن لزم منهمجهم واقتفى أثرهم في تفسير نصوص الكتاب والسنة، والأخذ بأقوالهم والاسترشاد بها.

فهم خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد شاهد الصحابة رضي الله عنهم التنزيل وعاصروه ولازموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه وتلقوا عنه وحفظوا مقالته ورعوها ثم نقوها إلى من بعدهم كما سمعوها وفهموها، ولذا فهم أفقه الأمة وأعلمهم بمراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وكان السلف إذا اشتد الخلاف بينهم وبين معارضيتهم من أصحاب المذاهب والاتجاهات المنحرفة يدعونهم إلى التحاكم إلى أهل القرون الثلاثة الأولى، ومن ذلك على سبيل المثال قول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مناظراته في العقيدة الواسطية: " قد أمهلت من خالفني في شيء منها -يعني عقيدة السلف الصالح- ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فأنا راجع عن ذلك، وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته"³.

ويقول أيضاً في الأخذ بأقوال أهل القرون الثلاثة الأولى: " معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خير وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك، فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة، فالافتداء بهم

¹ مجموع الفتاوى: 156-155/19.

² المرجع السابق: 347/3.

³ مجموعة الرسائل الكبرى: 417/1.

خير من الاقتداء بمن بعدهم، ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم، وذلك أن إجماعهم لا يكون إلا معصوماً، وإذا تنازعا فالحق لا يخرج عنهم، فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم، ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَزُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]¹.

ثالثاً: الاستدلال بالأدلة العقلية والفقرة:

فالعقل السليم والفقرة مؤيدان يوافقان الكتاب والسنة، ويدركان أصول الاعتقاد على الإجمال لا على التفصيل، فالعقل والفقرة يدركان وجود الله وعظمته وضرورة طاعته وعبادته واتصافه بصفات العظمة والجلال على وجه العموم.

كما أن العقل والفقرة السليمين يدركان ضرورة النبوات وإرسال الرسل، وضرورة البعث والجزاء على الأعمال كذلك، على الإجمال لا على التفصيل.

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم جاء مؤيداً من ربه بالحجج والبراهين العقلية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]، فأخبر سبحانه أن الكفار لا يأتونه بقياس عقلي لباطلهم إلا جاءه الله بالحق والبيان والدليل وضرب المثل بما هو أحسن تفسيراً وكشفاً وإيضاحاً للحق من قياسهم².

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "إن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم، بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم إلى الآيات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين"³.

وقد استخدم السلف الأدلة والحجج العقلية المستنبطة من القرآن الكريم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن السلف: "وكانوا يستعملون القياس العقلي على النحو الذي ورد به القرآن في الأمثال التي ضربها الله تعالى للناس، فإن الله ضرب للناس في القرآن من كل مثل، وبين بالأقيسة العقلية المقبولة بالعقل

¹ مجموع الفتاوى: 25-24/13.

² انظر: نقض المنطق، لابن تيمية: 89.

³ مجموع الفتاوى: 204/4.

الصريح من المطالب الإلهية والمقاصد الربانية ما لا تصل إليه آراء هؤلاء المتكلمين في المسائل والوسائل، في الأحكام والدلائل"¹.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله- مبيناً استخدام السلف للأقيسة العقلية في معرض كلامه عن كتاب الإمام أحمد -رحمه الله- "الرد على الزنادقة والجهمية: " وهو مع ذلك يكشف لهم الشبه ويبين بطلانها بأدلة الكتاب والسنة وإجماع الأمة والأدلة العقلية الصريحة، وصنف في ذلك كتابه المعروف في الرد على الزنادقة والجهمية"².

والسنة كالقرآن في ذلك، فهما تتبين الحقائق بالمقاييس العقلية والأمثال المضروبة، ويتبين طريق التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين"³.

ومن أمثلة استخدام السلف للأدلة العقلية المستنبطة من النصوص الشرعية: استخدامهم لقياس الأولى"⁴. يقول شيخ لإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "كان السلف والأئمة يستعملون قياس الأولى في المطالب الإلهية، كما استعمله الإمام أحمد ومن قبله ومن بعده من أئمة أهل الإسلام، ويمثل هذا القياس جاء القرآن في تقرير أصول الدين في مسائل التوحيد والصفات والمعاد"⁵.

ومن ذلك أيضاً استخدامهم دلالات الأنفس والآفاق والمعجزات في الاستدلال على الله -عز وجل- ومعرفته، وفي هذا يقول ابن الوزير اليماني -رحمه الله-: "دلالة الأنفس ودلالة الآفاق ودلالة المعجزات كلها دل عليها القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنه يهدي للتي هي أقوم"⁶.

أما الفطرة "فالناس مفلطرون على العلم بالقوانين العقلية، التي لا ينازع فيها أحد من عقلاء بني آدم، لأن مبني العقل على صحة الفطرة وسلامتها"⁷.

لذلك قد أودع الله تعالى قلوب بني آدم من المعارف الفطرية الضرورية ما يفرقون به بين الحق والباطل، وما يجعلها مستعدة لإدراك الحقائق، ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من هذا الاستعداد والتمكن، ما أفاد النظر ولا الاستدلال ولا البرهان، كما أنه سبحانه جعل الأبدان مستعدة للاغتذاء بالطعام والشراب ولولا

¹ بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لشيخ الإسلام ابن تيمية: 326/1.

² مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، لبعض علماء نجد الأعلام: 120/3.

³ انظر: الرد على المنطقيين، لابن تيمية: 382.

⁴ انظر: المرجع السابق: 150، والتدمرية: 50.

⁵ درء تعارض العقل والنقل: 30/1.

⁶ إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني: 45-57.

⁷ انظر: الرد على المنطقيين: 323.

هذا الاستعداد لما أمكن تغذيتها وتربيتها، وأيضاً فكما أن في الأبدان قوة تفرق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوة تفرق بين الحق والباطل، وأعظم من ذلك¹.

فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تعالى تصديقاً به، وتدينا له، لكن قد يعرض لها ما يفسدها، ويخرجها عما فطرت عليه، والقلب إنما خلق لأجل حب الله، وتعظيمه وعبادته، والإخلاص له، لأن معرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه، وقد فطر الله القلوب على قيام هذا المقتضي بها، ولولا ما يعرض لها من الشبهات، والشهوات، لاستمرت عليه، ودانت به، ومع ذلك، فهي تظهر عند حلول الحوادث العظام، والخطوب الجسام، فيجد المشرك نفسه تستغيث بالله تعالى، طبعاً وجبلة، لا تكلفاً وحيلة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا﴾ [الإسراء: 27]، ولهذا لم تأت الرسل لتعريف الناس بالخالق ووجوده، وإنما أتت للدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك كما قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [إبراهيم: 52]، وأتت لبيان أمر العبودية، وتفصيله على نحو لا تستقل الفطرة بالعلم به، وإن كانت أصل العبودية معلومة في الفطرة، فالشرائع: أمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإباحة طيب، وتحريم خبيث، وأمر بعدل، ونهي عن ظلم، وهذا كله مركز في الفطرة، وكماله وتفصيله وتبيينه موقوف على الرسل².

والمقصود بيان أن الإسلام بعقائده وشرائعه هو دين الفطرة، فكل مسألة من مسائله يوجد في الفطرة ما يؤيدها ويشهد لصحتها، إما صراحة وذلك في الأصول الكبار، أو الإحالة، بمعنى أن الفطرة لا تنفر من ذلك، وهذا في تفاصيل تلك الأصول: { فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الروم: 30].

رابعاً: رد الأفكار والتأويلات الباطلة:

والمقصود به: تأويل المتكلمين للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وصرفها عن ظاهرها ومعناها الراجح إلى المعنى المرجوح استناداً على العقل وحده، كي توافق مقتضى عقولهم وتبدوا مساييره لأهوائهم. وقد رفض علماء السلف هذا التأويل رفضاً قاطعاً، وانكروه واعتبروه تأويلاً باطلاً وتحريفاً لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، لما يتضمنه ويلزم منه من أمور كثيرة باطلة.

¹ انظر: درء تعارض العقل والنقل: 62/5.

² انظر: مجموع الفتاوى: 528/7، 134-135، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم: 404.

قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة - رحمه الله -: " إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله تعالى، نقلها الخلف عن السلف قرناً بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا، على سبيل الصفات لله تعالى والمعرفة والإيمان به والتسليم لما أخبر الله في تنزيهه ونبيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابه، مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكيف"¹.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - رحمه الله -: " أهل السنة متفقون على إبطال تأويلات الجهمية ونحوهم من المنحرفين الملحدين، والتأويل المردود: هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره...، وليس هذا مذهب السلف والأئمة، وإنما مذهبهم نفي هذه التأويلات وردها"².
ولذلك كله هجر السلف طريقهم وأنكروه وحذروا الأمة الحمديّة من سلوك طريقه وهي التي كان يسميها السلف مقالة الجهمية، والذي هيأ المتكلمون لانتشارها عن طريق تبني بعض أفكارها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " فإذا كان أصل هذه المقالة -مقالة التعطيل والتأويل- مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصائبين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن -بل نفس عاقل- أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين"³.

خامساً: تقدير المصلحة والمفسدة في الرد:

إن من قواعد الشريعة أن درء المفسد مقدم على جلب المصلح، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات وأكبر الأصنام ولا يغيرها، وترك المنافقين ولم يقتلهم مع ثبوت كفرهم لئلا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.

والتعامل مع كل مخالف منوط بهذه القاعدة فلا يسوغ الرد عليه إذا ترتب على ذلك مفسدة كبرى، وقد نهي الله تعالى عن سب آلهة المشركين لما يترتب على ذلك من مفسدة أعظم من مصلحة سبها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 108].

¹ ذم التأويل، لابن قدامة المقدسي: 18.

² رسالة الإكليل في التشابه والتأويل، لابن تيمية: 187/3.

³ المرجع السابق: 25/5.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- -رحمه الله-: " إذا لم يحصل النور الصافي، بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف، وإلا بقى الإنسان في الظلمة فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهي عن نور فيه ظلمة إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية"¹.

وقال ابن القيم -رحمه الله-: " إن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأُمَّته إيجاب إنكار المنكر ليحل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله"².

وقال الإمام مسلم -رحمه الله- في مقدمته لصحيحه: " وقد تكلم بعض منتحلي الحديث من أهل عصرنا في تصحيح الأسانيد وتسقيمها بقول وهو لو ضربنا عن حكايته وذكر فساده صفحاً، لكان رأياً متيناً، ومذهباً صحيحاً، إذ الإعراض عن القول المطروح أخرى لإماتته، وإخمال ذكر فائله، وأجدر أن لا يكون ذلك تنبيهاً للجهال عليه، غير أنا نخوفنا من شرور العواقب، واغترار الجهلة بمحدثات الأمور، وإسراعهم إلى اعتقاد خطأ المخطئين، والأقوال الساقطة عند العلماء، رأينا الكشف عن فساد قوله، ورد مقالته بقدر ما يليق بها من الرد أجدى على الأنام وأحمد للعاقبة إن شاء الله".

قال الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله- في تعليقه على هذا الكلام " هذا صحيح، وذلك أنك إذا أردت الشيء ينتشر فرد عليه، يأخذ الناس هذا الرد ويتجادلون فيه، فيكون في هذا الرد نشرًا للقول، لكن يخشى لو تركناه لاغتر به الجهال، فكان مقتضى النصيحة أن يذكر، وكونه يشتهر بأنه ضعيف وأنه مردود عليه خير من كونه يسكت عنه"³.

سادساً: ترك الجدال والمراء والخصومة في الدين:

من منهج السلف رحمهم الله ترك الجدال والمراء والخصومة في الدين امتثالاً لقول الله تعالى في ذم المجادلة بالباطل: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر: 35]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [غافر: 69]، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا

¹ مجموع الفتاوى: 364/10.

² أعلام الموقعين: 4/3.

³ التعليق على صحيح مسلم، للشيخ محمد بن عثيمين: 72/1.

ءَامَتَا بِالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحَدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ

﴿٤٦﴾ [العنكبوت: 46]، وكذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المراءء والجدال والخصومات في الدين قال صلى الله عليه وسلم: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"¹.

قال ابن رجب -رحمه الله-: "ومما أنكره أئمة السلف الجدال والخصام والمراءء في مسائل الحلال والحرام أيضاً، ولم يكن ذلك طريق أئمة الإسلام، وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقيين.

وقد أنكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في السنن: "ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدال"²

ثم قرأ: ﴿مَا صَبَرْتَهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف، آية: 58].

وقال مالك: أدركت أهل هذه البلدة وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم، يريد المسائل³.

وكان يكره الجواب في كثرة المسائل، ويقول: قال الله -عز وجل-: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ

الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85] فلم يأتيه في ذلك جواب.

وقيل له: الرجل يكون عالماً بالسنن يجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يُخبر بالسننة، فإن قُبِلَ منه وإلا

سكت.

... وقال: المراءء في العلم يُقسى القلب، ويؤثر الطعن، وكان يقول في المسائل التي يُسأل عنها كثيراً:

لا أدري، وكان الإمام أحمد يسلك سبيله في ذلك⁴.

سابعاً: ذم البدع والأهواء:

ومن أبرز سمات منهج السلف -رحمهم الله-: محاربتهم للبدع في الدين ونبذها والتحذير منها لمناقضتها

لأحد شرطي العبادة، وهو المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم فقد روي عن عبدالله بن مسعود رضى الله

عنه أنه كان يقول: "إياكم والتنطع والتعمق والبدع، وعليكم بالعتيق"⁵، وكان يقول: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد

كفيتهم، وكل بدعة ضلالة"⁶.

¹ صحيح البخاري: كتاب التفسير، سورة البقرة، باب: وهو الألد الخصم رقم (4523)، وصحيح مسلم: كتاب العلم، باب:

النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه عن الاختلاف في القرآن، رقم (2668).

² سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الزخرف رقم (3253).

³ الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي: 15/2.

⁴ فضل علم السلف على الخلف: 30-32.

⁵ سنن الدارمي، باب: من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع: 66.

⁶ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطه العكبري: 327/1.

وقال الإمام مالك - رحمه الله -: " من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، وفي رواية: من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]"¹.

ومن سماتهم أيضاً هجر أهل الأهواء والبدع والتشديد في النهي عن مجالستهم أو سماع كلامهم أو عرض شبههم، وذلك إنكاراً للمنكر وتأديباً وزجراً لهم حتى يقلعوا عن بدعتهم، ومحاصرة لآرائهم وشبهاتهم، وصيانة لقلوب المسلمين وحماية لعقولهم منها، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان يقول: " لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلب"².
وعن سفيان الثوري - رحمه الله - أنه كان يقول: " من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يلقبها في قلوبهم"³.

ويقول البغوي - رحمه الله -: " وقد مضى الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة مجتمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم"⁴.
وقد عني السلف قديماً وحديثاً بأمر البدع وإنكارها وذمها والتحذير منها، وأفردوا لذلك مصنفات كثيرة تدل على عنايتهم بذلك⁵.

ثامناً: الأهلية والاستقامة:

أهلية القائم بالرد في معرفة الحق، وإبرام أدلته، ونصبها دليلاً عليه، وإلا فقد ذم الله تعالى من يجاج بلا علم، فقال سبحانه: ﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: 66]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَوْرِي أَلْفَوْحَش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ أَلْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: 33].

¹ الاعتصام: 62/1.

² كتاب الشريعة، للأجري: 452/1.

³ شرح السنة، للبغوي: 227/1.

⁴ شرح السنة: 227/1.

⁵ انظر: تعريف الخلف بمنهج الخلف، لإبراهيم البريكان: 166-187.

وفي التزام السلف بهذا الشرط، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: " وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما يُنهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل عِلجاً قوياً من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة. ... والمقصود أنهم نُهوا عن المناظرة من لا يقوم بواجبها، أو مع من لا يكون في مناظرته مصلحة راجحة، أو فيها مفسدة راجحة، فهذه أمور عارضة تختلف باختلاف الأحوال"¹.

أما الاستقامة فإنها: من صفات الكمال، وهي أن يكون القائم بهذا الواجب غير متلبس ببدعة أو فجور، فإن التلبس بشيء من ذلك يصرف القلوب عن قبول أقواله، أو تفتح للخصم هضم الحق بواسطته، والنصوص في هذا كثيرة².

وذلك "أن من يقوم بهذه الوظيفة داع إلى الله تعالى، والداعي ينبغي أن يكون قدوة فيما يدعو إليه، لكن العلماء ذكروا: أن الاستقامة صفة كمال، وليس شرط وجوب أو صحة"³.

قال الحافظ النووي -رحمه الله تعالى-: " قال العلماء لا يشترط في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أن يكون كامل الحال، ممثلاً ما يأمر به، محتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخالفاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئين: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاها، فإذا أحل بأحدهما فكيف يباح له الإخلال بالآخر"⁴.

¹ درء تعارض العقل والنقل: 173/7-174.

² الرد على المخالف: 57-59 باختصار، وانظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه، لأحمد جود: 239-241.

³ انظر: فقه التعامل مع المخالف، د. عبد الله الطريقي: 35.

⁴ شرح صحيح مسلم، للنووي: 23/2.

المبحث الثاني: المنهج العلمي للسلف في الدفاع عن العقيدة:

للسلف -رحمهم الله تعالى- منهج علمي في دفاعهم عن العقيدة، ويتمثل هذا المنهج في عدة أمور:

أولاً: العمل بالمحكم والإيمان بالمتشابه:

فمن منهج السلف -رحمهم الله- الإيمان المطلق بما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما قال الشافعي رحمه الله: " آمنت بما جاء عن الله، على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم "1.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " ولهذا ما يجيء في الحديث نعمل بمحكمه ونؤمن بمتشابهه "2.

قال ربيعة شيخ مالك -رحمه الله-: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البلاغ، وعلى الرسول البيان، وعلينا الإيمان "3.

وقال ابن أبي زيد القيرواني -رحمه الله-: " ونصدق بما جاء عن الله -عز وجل- في كتابه، وبما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخباره، ونوجب العمل بمحكمه، ونقر بنص مشكله ومتشابهه، ونكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره إلى الله سبحانه وتعالى، والله يعلم من تأويل المتشابه من كتابه: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 3] "4.

وهذا الإيمان غير موقوف على فهم المعنى وإدراكه، لأن عقول البشر قاصرة عن إدراك جميع المعاني والإحاطة بها، ولأن الخبر إذا جاء عن الله ورسوله لم نحتج في إيماننا أن نحيط بمعناه، بل نصدقه ونؤمن به. يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: " إن ما أخبر به الرسول عن ربه فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف، لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به، وإن لم يفهم معناه "5.

¹ انظر: ذم التأويل: 11، ونقض المنطق: 2.

² مجموع الفتاوى: 57/3.

³ التدمرية: 96-98، شرح أصول اعتقاد أهل السنة: 397.

⁴ كتاب الجامع في السنن والآداب والحكم والمغازي والتاريخ وغير ذلك، لأبي محمد بن عبد الله القيرواني: 146.

⁵ الرسالة التدمرية، ضمن مجموع الفتاوى: 41/3.

وقال أبو إسماعيل الصابوني - رحمه الله -: " قرأت في رسالة للشيخ أبي بكر الإسماعيلي إلى أهل جيلان، وما حكاه عنه " فانتبهنا إلى ما أحكم وكفنا عن الذي يتشابه إذ أمرنا به في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]، كما إنهم يعتقدون أن دلالة النصوص القرآنية والنبوية نص في معناها والمراد منها فإذا أتى البيان من الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يطلب من غيرهما "1.

ثانياً: تقديم النقل على العقل، وعدم معارضة النصوص بالأقيسة العقلية وغيرها:

من منهج السلف - رحمهم الله - تقديم النقل على العقل، فالأساس الأول عند السلف هو الشرع، فهو الأسلم والأعلم والأحكم، لأنه لا يأتيه الباطل، ولا يتطرق إليه الشك والضلال، ولا يعتريه التنافر والتناقض، فعليه المعتمد في الدين كله، ويأتي العقل تبعاً له في ذلك. يقول الشاطبي - رحمه الله -: " الواجب تقديم ما حقه التقديم وهو الشرع، وتأخير ما حقه التأخير وهو نظر العقل، فلا يصح تقديم الناقص المفتقر حاكماً على الكامل المستغني، فهذا خلاف المعقول والمنقول"2.

ويقول أيضاً: " لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع، فإنه من التقدم بين يدي الله ورسوله، بل يكون ملبياً من وراء وراء، فهذا هو المذهب للصحابة رضي الله عنهم، وعليه دأبوا، وإياه اتخذوا طريقاً إلى الجنة فوصلوا"3.

وهم مع تقديمهم للنقل على العقل لا يعارضونه برأي ولا ذوق ولا وجد ولا عقل ولا قياس، ولا يقدمون كلام أحد كائناً من كان على كلام الله وكلام رسوله، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1].

وقد نص السلف على هذه القاعدة وأكدوها وحثوا عليها، ومن ذلك أنه روي عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أنه قال: " لا رأي لأحد مع سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم "4. وروي عن الإمام مالك - رحمه الله - أنه قال: " والتسليم للسنن، لا تُعارض برأي ولا تدافع بقياس"5.

1 عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة لإسماعيل الصابوني: 35.

2 الاعتصام: 228/3.

3 المرجع السابق: 235/3-236.

4 الإبانة عن شريعة الفرق الناجية: 262-263، والشريعة للأجري: 423/1.

5 الجامع في السنن والآداب والمعاري: 148.

ويقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: " يسقط كل شيء خالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقوم معه رأي ولا قياس، فإن الله عز وجل قطع العذر بقوله صلى الله عليه وسلم"¹.

ويؤكد ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله- هذه القاعدة فيقول: " وطريق أهل السنة أن لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول ولا قول فلان"².

وتعارض النص الصريح من الكتاب والسنة مع العقل الصحيح السليم غير متصور أصلاً، بل هو مستحيل، فإذا جاء ما يوهم ذلك فإن الوحي مقدم ومحكم، لأنه صادر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم والعقل لا عصمة له بل هو نظر البشر الناقص³، وهو معرض للوهم والخطأ والنسيان والهوى والجهل والعجز، فهو قطعاً ناقص⁴.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط، وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه، فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يُعلم بالعقل بطلانها، بل يُعلم بالعقل نقيضها الموافق للشرع.

... ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه: إما حديث موضوع، أو دلالة ضعيفة، فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول؟"⁵.

ويقول أيضاً: " إن النصوص الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعارضها قط صريح معقول، فضلاً عن أن يكون مقدماً عليها، وإنما الذي يعارضها شبه وخيالات مبناهما على معان متشابهة وألفاظ مجملة، فمتى وقع الاستفسار والبيان ظهر أن ما عارضها شبه سوفسطائية لا براهين عقلية"⁶.

ولا يفهم من هذا أن السلف يهملون العقل ويقللون من أهميته ويعطلون وظيفته، بل إنهم -رحمهم الله- يحترمون العقل ويقدرونه قدره ويعرفون له قيمته وفضله، لاعتقادهم بأن فهم نصوص الكتاب والسنة يحتاج إلى قلب يتدبر وعقل يفكر،... إلا أنهم يرفضون الغلو في تقدير العقل وتمجيده، كما يرفضون إعماله في غير مجاله الذي حدده له الشارع الحكيم وإقحامه فيما ليس في مقدوره واستطاعته أن يحكم فيه⁷.

¹ الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي: 192/2.

² شرح الطحاوية في العقيدة السلفية: 341.

³ انظر: درء تعارض العقل مع النقل: 88-280.

⁴ بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية المعاصرة منها، د. ناصر العقل: 32.

⁵ درء تعارض العقل مع النقل: 147/1.

⁶ المرجع السابق: 155/1-156.

⁷ انظر: المرجع السابق: 138/1-139.

ثالثاً: الاستدلال باللغة:

وقد اهتم السلف اهتماماً بالغاً بكتب اللغة: ومن ذلك ما رواه ابن بطة في الإبانة بسنده عن أحد طلاب الإمام أحمد - رحمه الله - قال: " طلب مني أبو عبد الله - وهو في السجن - كتاب حمزة في العربية، فدفعته إليه، فنظر فيه قبل أن يمتحن"¹. وقال الإمام أحمد - رحمه الله -: " كتبت من العربية أكثر مما كتب أبو عمر الشيباني"².

وقد ظهرت بجلاء استدلالات أهل السنة والجماعة باللغة العربية في مصنفاتهم في الاعتقاد، وقد تنوعت طرقهم وأساليبهم في ذلك الاحتجاج والاستدلال والرد على المخالفين؛ بل إنهم يوردون حجج المخالفين اللغوية ويردون عليها أداء للأمانة العلمية ولبيان ضعف استدلال المخالف باللغة وبطلانه، ويبيّنون المعاني الصحيحة لبعض الكلمات والألفاظ، ويضربون الأمثلة لتوضيح وتقريب المعاني اللغوية³.

رابعاً: التركيز في الدفاع عن العقيدة على نفس المعتقد بغض النظر عن القائل، وقد يذكرونه أحياناً:

إن من منهج السلف في الدفاع عن العقيدة التركيز على بيان الحق ورد الشبه، بغض النظر عن قائلها، وقد يحتاجون في بعض الأحيان إلى التعيين إذا ترتب على ذلك مصلحة.

يوضح ذلك الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله - فيقول: " الأصل هو الستر، والعمل على دفع دواعي الفرقة والوحشة وعدم الموافقة، فالرد يَنْصَبُ على المقالة المخالفة المذمومة لا على قائلها وتعيين اسم قائلها حسب مقتضى الأحوال منها:

أ- التعيين إذا كانت المقالة فاحشة جداً كبدعة الخوارج، فلا إشكال في جواز إبدائها وتعيين القائل بها، كما عين رسول الله صلى الله عليه وسلم الخوارج، وذكر علاماتهم، وحذر منهم، ويلحق بذلك ما هو مثله في الشناعة بل أشد منه بحسب نظر المجتهد، كالبعثيين، والعلمانيين، والحدائثيين.

ب- التعيين إذا كانت الفرقة تدعو إلى ضلالتها، وتزينها في قلوب العوام، فإن ضرر هؤلاء على المسلمين كضرر إبليس فلا بد من التصريح بأنهم من أهل البدعة والضلالة"⁴.

¹ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري: 264/2.

² الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد: 196.

³ انظر: منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة: 640/1 - 659.

⁴ الرد على المخالف: 63-64.

خامساً: الالتزام بالمصطلحات الشرعية:

قضية ضبط المصطلحات أمر نبه القرآن الكريم عليه المؤمنين في وقت نزول الوحي، فقد نهي الله - عز وجل - المؤمنين أن يقولوا: ﴿رَاعِنَا﴾، وأمرهم أن يقولوا: ﴿أَنْظُرْنَا﴾، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظُرْنَا﴾ [البقرة: 104]، وذلك أن اليهود كانت تستخدم كلمة ﴿رَاعِنَا﴾ لمعنى فاسد يحمل مسبة للنبي صلى الله عليه وسلم.

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أناس يأتون في آخر الزمان يسمون الخمر بغير اسمها¹. ويتلخص موقف أهل السنة من أمر المصطلحات التي تنسب إلى الأنبياء أو السلف أو إلى الخصوم بما يلي:

1- التأكيد من صحة نسبة المصطلح ومعناه:

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: " المنقول عن السلف والعلماء يحتاج إلى معرفة بثبوت لفظه، ومعرفة دلالاته، كما يحتاج إلى ذلك المنقول عن الله ورسوله"²، والأمر في هذا أن العلم يحتاج إلى نقل مصدق، ونظر محقق³.

2- اتباع المنقول من المصطلحات:

وذلك أن اتباع ألفاظ الكتاب والسنة أولى من أي ألفاظ أخرى في تقرير أمور الدين؛ لأن ذلك يؤدي إلى موافقة النصوص لفظاً ومعناً.

3- فهم المصطلحات:

وذلك بمعرفة دلالة المصطلح ومعرفة مراد المتكلم به، " وذلك أن دلالة الخطاب إنما تكون بلغة المتكلم وعاداته المعروفة في خطابه، لا بلغة وعادة واصطلاح أحدثه قوم آخرون بعد انقراض عصر الذين خاطبهم بلغته وعاداته"⁴، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: 4].

¹ سنن أبي داود: كتاب الأشربة، باب في الداذي، رقم (3688).

² مجموع الفتاوى: 246/1.

³ المرجع السابق: 246/1.

⁴ درة تعارض العقل والنقل: 123/7، منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبد الله بن رشيد الحوشاني: 87/1-89.

4- الاستفسار والاستفصال عند الإجمال:

يلتزم السلف إزاء الألفاظ المجملة التي يوردها أهل الباطل بهذه القاعدة فلا يوافقون على إثبات لفظ مجمل أو نفيه، إلا بعد الاستفسار عن مراد صاحبه، وذلك كألفاظ الجوهر، والجسم، والجهة، وهي من الألفاظ المبتدعة عند أهل الأهواء وأهل الكتاب، فإن كان المعنى حقاً؛ قبلوا المعنى وردوا اللفظ، وإن كان المعنى باطلاً ردوا اللفظ والمعنى.

قال ابن أبي العز -رحمه الله- في شرح الطحاوية في تعليقه على كلام الطحاوي: " تعالی ربنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات"، قال: " أذكر بين يدي الكلام على عبارة الشيخ رحمه الله مقدمة، وهي: أن الناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهم المتبعون للسلف، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا بين ما أثبت بها فهو ثابت، وما نفي بها فهو منفي؛ لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام، كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية، فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي. ولهذا كان النفاة ينفون بها حقاً وباطلاً، ويذكرون عن مثبتها ما لا يقولون به، وبعض المثبتين لها يدخل فيها معنى باطلاً، مخالفاً لقول السلف، ولما دل عليه الكتاب والميزان. ولم يرد نص من الكتاب ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنا أن نصف الله تعالی بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفيًا ولا إثباتًا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون"¹.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان: نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبتته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله فاللفظ الذي أثبتته الله أو نفاه حق؛ فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والألفاظ الشرعية لها حرمة... "

وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكروه"².

¹ شرح العقيدة الطحاوية: 189.

² مجموع الفتاوى: 113/12-114.

وقال أيضاً: " وما تنازع فيه المتأخرون، نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد، بل ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده، فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً، ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى"¹.

5- مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم:

ويستثنى مما سبق مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم عند الحاجة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة..²، لاسيما "إذا كان المناظر معارضاً للشرع بما يذكره، أو ممن لا يمكن أن يرد إلى الشريعة، مثل من لا يلتزم الإسلام ويدعو الناس إلى ما يزعمه من العقليات، أو ممن يدعي أن الشرع خاطب الجمهور، وأن المعقول الصريح يدل على باطن يخالف الشرع، ونحو ذلك، أو كان الرجل ممن عرضت له شبهة من كلام هؤلاء، فهؤلاء لابد في مخاطبتهم من كلام على المعاني التي يدعونها: إما بألفاظهم، وإما بألفاظ يوافقون على أنها تقوم مقام ألفاظهم..."³.

سادساً: وضوح الأسلوب وحسن الصياغة:

يمتاز المنهج العلمي للسلف في الدفاع عن العقيدة بالوضوح والبيان، وخلوه من التعارض والتناقض والغموض والفلسفة والتعقيد في ألفاظه ومعانيه لأنه مستمد من كلام الله المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى. قال ابن رجب - رحمه الله -: " ومع هذا ففي كلام السلف والأئمة كمالك والشافعي وأحمد وإسحاق التنبيه على مأخذ الفقه ومدارك الأحكام بكلام وجيز مختصر، يُفهم به المقصود من غير إطالة ولا إسهاب. وفي كلامهم من رد الأقوال المخالفة للسنة باللفظ إشارة وأحسن عبارة بحيث يغني ذلك من فهمه عن إطالة المتكلمين في ذلك بعدهم بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب، في ذلك ما تضمنه كلام السلف والأئمة مع اختصاره وإيجازه.

¹ التدمرية: 65-66.

² درء تعارض العقل والنقل: 43/1.

³ المرجع السابق: 221/1، وانظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه: 247-251.

... فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال؛ ولكنه نور يُقذف في القلب، يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويُعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد... وأما كثرة القول وتشقيق الكلام فإنه مذموم¹.

سابعاً: توثيق الكلام المردود عليه من كتبهم والثبت من ذلك:

فمن منهج السلف توثيق كلام المردود عليهم من كتبهم، والرجوع إلى مصادرها، لا من الكتب التي ترد عليهم، أو تحكي عنهم، أو فيما يقال عنهم فهذه مصادر ثانوية، والثبت من نسبه إليهم². يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في رده على النصارى: "وأنا أذكر ما ذكره بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً، واتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً، وعقدت وحلاً"³.

أما الثبت فقد أمر الشرع به، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: 6].

والمراد بالتبين: التعرف والتبصر والأناة وعدم العجلة حتى يتضح الأمر ويظهر، وهذا يحصل في النقل والمنقول، فلا بد من التحقق من صدق الناقل وسلامته، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "بئس مطية الرجل زعموا"⁴.

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: "من أراد أن ينقل مقالة عن طائفة فليسم القائل والناقل، وإلا فكل أحد يقدر على الكذب"⁵.

¹ فضل علم السلف على الخلف: 34-38، وانظر: الرد على المخالف: 67-70.

² الرد على المخالف: 59، لمعرفة صور دقتهم في ذلك انظر: علم الملل ومناهج العلماء فيه: 229-233.

³ الجواب الصحيح: 68/1.

⁴ سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب: في قول الرجل زعموا، رقم (4972)، مسند الإمام أحمد: 4/119.

⁵ مناهج السنة النبوية: 403/2.

المبحث الثالث: المنهج الأخلاقي عند السلف في الدفاع عن العقيدة:

إن من القضايا التي ينبغي الاعتناء بها علماً وعملاً موضوع الصفات السلوكية والأخلاقية عند أهل السنة والجماعة وخصوصاً عند الرد على المخالف؛ لما يترتب على ذلك من بيان الحق وقبوله لدى المخالف، وبما يحصل به من الائتلاف وعدم التفرق؛ لأن المقصود هو بيان الحق وهداية الخلق. ولقد اعتنى السلف الصالح بالجانب السلوكي الأخلاقي علماً وفقهاً، كما حققوه عملاً وهدياً، بل إن أئمة السلف يوردون الصفات السلوكية والأخلاقية لأهل السنة في ثنايا كتب العقيدة، وعلى سبيل المثال فهذا قوام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني - رحمه الله - يقول: "ومن مذهب أهل السنة التورع في المآكل والمشرب والمناكح، والتحرز من الفواحش والقبائح، والتحريض على التحاب في الله - عز وجل -، واتقاء الجدل والمنازعة في أصول الدين، ومجانبة أهل الأهواء والضلالة، وهجرهم ومباينتهم، والقيام بوفاء العهد والأمانة، والخروج من المظالم والتبعات، وغض الطرف عن الريبة والحرمات، ومنع النفس عن الشهوات، وترك شهادة الزور وقذف المحصنات، وإمساك اللسان عن الغيبة والبهتان، والفضول من الكلام، وكظم الغيظ، والصفح عن زلل الإخوان، والمسابقة إلى فعل الخيرات، والإمساك عن الشبهات، وصلة الأرحام، ومواساة الضعفاء، والنصيحة في الله، والشفقة على خلق الله، والتعهد لقيام الليل لا سيما لحملة القرآن، والبدار إلى أداء الصلوات"¹.

والحديث عن تلك الصفات السلوكية حديث طويل ولكن أشير إلى بعض تلك الصفات المهمة:-

أولاً: العدل والإنصاف²:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [المائدة: 8].

وقد كان الصحابة، والسلف الصالح ومن بعدهم خير مثال في هذا، فهذا عبد الله بن رواحه رضى الله عنه لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليخبر على أهل خيبر - من اليهود - ثمارهم، وزروعهم، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم، فقال: "والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلى، ولأنتم أبغض إلى من أعدادكم من

¹ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لقوام السنة أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني: 528/2.

² انظر: إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفهم، لمحمد بن صالح العلي: 17-29.

القردة والخنازير، وما يحملني حيي إياه، وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم، فقالوا: فبهذا قامت السموات والأرض"1.

يقول الفاروق عمر رضى الله عنه عن النصارى: "أهينوهم، ولا تظلموهم، فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر"2.

فقول عمر رضى الله عنه: "أهينوهم": من مقتضى البراءة من الكافرين، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: 51]، وأما قوله رضى الله عنه: "ولا تظلموهم"، فهذا مقتضى العدل معهم³، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجْرِمُوا مِمَّن دَبَّرْتُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقِسُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: 8].

"فالله يحب العدل والإنصاف على الموافق، والمخالف، وما يضُرُّ المتعصب بغير حق إلا نفسه.
... قال حاتم الأصم - رحمه الله تعالى - : " معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي، قالوا: وما هي؟ قال: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه".

فبلغ ذلك أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - فقال: " سبحان الله ما أعقله من رجل"4. 5.
وإذا أنصف الإنسان حمله إنصافه على أن يعرف قدر الخطأ، فلا يعطيه أكبر من حقه، كما لا ينسى سابقة قائله، وظروفه التي حملته على فعله، ولا يغيب عنك فعل حاطب بن أبي بلتعة رضى الله عنه وكيف أن عقوبته منع من ترتبها عليه مشهده العظيم يوم بدر.

قال ابن القيم - رحمه الله -: " من قواعد الشرع والحكمة أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يُحتمل منه ما لا يُحتمل من غيره ويعفى عنه ما لا يعفى من غيره؛ فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث... وهذا أمر معلوم عند الناس مستقر في فطرتهم أن من له ألوف الحسنات فإنه يسامح بالسيئة والسيئتين، وكما قيل:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع"6.

1 انظر: تفسير ابن كثير: 433/2.

2 انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم: 398/2.

3 انظر: أحكام أهل الذمة، لابن القيم: 211/1.

4 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي: 254/11.

5 الرد على المخالف: 62.

6 مفتاح دار السعادة: 177/1.

ثانياً: سلامة الصدر:

فالسلف -رحمهم الله تعالى- سألوا صدورهم من الغل والحقد على المخالف؛ وإن كانوا مع ذلك يقومون بما توجهه عليهم الشريعة من الولاء والبراء، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22]، ويقول في وصف عباده المتقين: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية 134].

يقول الإمام أحمد - رحمه الله -: " كل من ذكرني ففي حلٍ إلا مبتدعاً، وقد جعلت أبا إسحاق - يعني المعتصم - في حل، ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه بالعتف في قصة مسطح، ثم قال: وما ينفك أن يعذب الله أحاك المسلم في سبيله؟"¹.

يقول ابن القيم - رحمه الله -: " جئت يوماً مبشراً له -أي ابن تيمية -رحمه الله- - بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني، وتنكر لي، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، فسروا به ودعوا له"².
ولما مرض ابن تيمية -رحمه الله- مرض الوفاة، دخل عليه أحدهم، فاعتذر له، والتمس منه أن يجلله، فأجاب الشيخ -رحمه الله-: " إني قد أحللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أي على الحق، وقال ما معناه: إني قد أحللت السلطان الملك الناصر من حبسه إياي لكونه فعل ذلك مقلداً غيره معذوراً، ولم يفعله لحظ نفسه، بل لما بلغه مما ظنه حقاً من مبلّغه، والله يعلم أنه بخلافه... وقد أحللت كل واحدٍ مما كان بيني وبينه، إلا من كان عدواً لله ورسوله"³.

ثالثاً: التواضع:

إن من منهج السلف - رحمهم الله - وأخلاقهم في تعاملهم مع المردود عليه أن لا يفخر الراد على المردود عليه، ولا المنتصر على المنتصر عليه، ولا يتكبر عليه، فإن الفخر والتكبر ليس من شأن أهل الإسلام، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثال ذرة من كبر " ثم فسر الكبر بأنه

¹ الحجّة في بيان الحجّة: 528/2.

² مدارج السالكين: 345/2.

³ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، للحافظ عمر البزار: 74-75.

"بطل الحق" يعني جحد الحق، " وغمط الناس"¹ يعني احتقارهم، وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد"²، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلَّغِيَةٍ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: 56].

فالسلف رحمهم الله لا يجحدون الحق، ولا يتكبرون على الخلق، قال الإمامان محمد بن عبد اللطيف ومحمد بن إبراهيم في رسالتهما إلى أبي الوفاء الهندي: " وغير خاف عليكم أن كل ذي دين وإنصاف أبعد شيء عن الأنفة والاستنكار ومن أحب الناس إليه من يعرفه عيبه ويوقفه عليه"³.

فالسلف يقبلون الحق من كل من جاء به، وفي ذلك يقول معاذ بن جبل رضى الله عنه: " اقبلوا الحق من كل من جاء به، وإن كان كافراً—أو قال فاجراً— واحذروا زيغة الحكيم، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟ قال: على الحق نور"⁴.

وقال ابن تيمية—رحمه الله—: " والله أمرنا ألا نقول إلا الحق وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني— فضلاً عن الرافضي— قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق"⁵.

رابعاً: إحسان الظن بالمخالف:

من منهج السلف—رحمهم الله تعالى— إحسان الظن بالمخالف، وخصوصاً ممن عرف بالصلاح والبحث عن الحق، فقد أمرنا الله بذلك فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ﴾ [الحجرات: 12]، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: " لا تظن بكلمة خرجت من أحيك المؤمن شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً"⁶.

¹ صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانها، رقم (91).

² صحيح مسلم: كتاب الجنة، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (2865).

³ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم: 52/13.

⁴ سنن أبي داود، كتاب السنة، باب: لزوم السنة، رقم (3995).

⁵ منهاج السنة النبوية: 342/2.

⁶ الدر المنتور، للسيوطي: 92/6.

وعن سعيد بن المسيب - رحمه الله - قال: كتب إلى بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً.."¹.

ودخل الربيع بن سليمان أحد تلامذة الإمام الشافعي على الشافعي وهو مريض، فقال له: "قوى الله ضعفك". فقال الشافعي: "لو قوى ضعفي لقتلني"، فقال الربيع: "والله ما أردت إلا الخير"، فقال الشافعي: "أعلم أنك لو شتمتني لم ترد إلا الخير.."².

وهم في هذا لا يُخادعون، وإنما يحسنون الظن بمن يستحق ذلك، أما المخادع فهم لا يغترون بكلامه بل ولا يحسنون الظن به، ولذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لست بحب ولا يخدعني الحب"³.

خامساً: الرحمة:

ومن أخلاق السلف -رحمهم الله تعالى- أنهم يعلمون الحق ويرحمون الخلق، فهم حين يردون على المخالف لا يريدون بذلك الانتصار لأنفسهم، وإنما رغبة في الأجر الأخروي، ورحمة بذلك الشخص الذي يرد عليه؛ ليعده عما هو فيه من عقائد ضاله، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن"⁵، ويقول صلى الله عليه وسلم: " من لا يرحم لا يُرحم"⁶، وقال صلى الله عليه وسلم: " لا يرحم الله من لا يرحم الناس"⁷.

وقد سار سلف الأمة على ذلك، فهذا أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه يقول الحق، ويرحم الخلق، فإنه لما رأى سبعين رأساً من الخوارج، وقد جزت تلك الرؤوس ونصبت على درج دمشق، فقال رضي الله عنه إعلاماً بالحق: "سبحان الله، ما يصنع الشيطان بيني آدم، كلاب جهنم، شر قتلى تحت ظل السماء"، ثم بكى قائلاً: "بكيت رحمة لهم حين رأيتهم كانوا من أهل الإسلام"⁸.

¹ المرجع السابق: 99/6.

² آداب الشافعي ومناقبه، لعبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي: 274.

³ الحُب: الخداع الخائن.

⁴ مجموع الفتاوى: 302/10.

⁵ سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب: في الرحمة، رقم (4941).

⁶ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم (5997).

⁷ صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول الله تبارك وتعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}، رقم (7376).

⁸ الاعتصام للشاطبي: 73-71/1.

يقول ابن تيمية - رحمه الله -: " وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة، سالمين من البدعة ويعدلون على من خرج منها ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ﴾ [المائدة: 8]، ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداء، بل إذا عاقبوه، وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق"¹.

¹ تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية: 257.

الخاتمة

وبعد فإن منهج السلف رحمهم الله سواءً في خصائصه وسماته، أو في علميته وأخلاقه منهج عظيم وعلى طريق مستقيم، يحتاج إلى عناية ومزيد بحث وتتبّع واستقراء؛ حتى يتبع ويطبّق في حياة الناس اليوم وخصوصاً طلبة العلم.

وكان من أهم النتائج التي خلصت إليها من خلال هذا البحث:

- 1- تمسك السلف بأصول الدين ومصادر تلقي الديانة من خلال الكتاب والسنة، تلقياً عنها، واستدلالاً بها، وتعويلاً عليها واهتداءً بها.
- 2- غيرة السلف على العقيدة وذبحهم عنها، ومواقفهم المتنوعة من المبتدعة على مختلف مراتبهم وأحوالهم.
- 3- اتفاق السلف -رحمهم الله تعالى- في المنهج الذي سلكوه في الدفاع عن العقيدة؛ وأن ما يحصل خلاف ذلك فإنما يكون باجتهاد أو زلة أو نحو ذلك.
- 4- وضوح منهج السلف -رحمهم الله تعالى- وسهولته في الدفاع عن العقيدة.
- 5- تميز السلف بمنهجهم العلمي والأخلاقي.
- 6- أن الالتزام بمنهج السلف في الدفاع عن العقيدة فيه العصمة -بإذن الله تعالى- من الوقوع في الزلل والخطأ.
- 7- أن منهج السلف -رحمهم الله تعالى- هو الأعم والأحكم والأسلم.

وفي الختام أعرض لبعض الوصايا لأخواني الباحثين وطلبة العلم:

- 1- وجوب العناية بمنهج السلف الصالح في التعلم والتعليم، والعمل والدعوة، ديانة وتعبداً لله -عز وجل-.
- 2- الاهتمام بالآثار المروية عن السلف الصالح، أقوالاً كانت أو أحوالاً أو أفعالاً، وخصوصاً في تقريرهم ودفاعهم عن العقيدة.

والله اعلم، وصلى على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

المراجع

- 1- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، 1415.
- 2- أحكام أهل الذمة، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة.
- 3- آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1413.
- 4- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، محمد الأمين، مكتبة ابن تيمية - رحمه الله-، القاهرة، طبعة عام 1415.
- 5- الاعتصام، للشاطبي، براهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، مكتبة المنار، مصر، د.ط.
- 6- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية - رحمه الله-، للبنار، عمر بن علي بن موسى البغدادي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1405.
- 7- أعلام الموقعين لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: طه عبدالرؤوف، دار الجليل، بيروت، 1973.
- 8- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة الرياض الحديثة، د.ط. ونسخة أخرى، تحقيق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1408.
- 9- الأم، للشافعي، محمد بن إدريس، دار الشعب، طبعة عام 1388.
- 10- إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفهم، للعلي، محمد بن صالح، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى، 1415.
- 11- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1987.
- 12- بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات الإسلامية المعاصرة منها، العقل، ناصر بن عبدالكريم، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى.

- 13- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لابن تيمية -رحمه الله- ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، بتصحيح وتكميل وتعليق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار القاسم، الرياض، الطبعة الثانية.
- 14- تعريف الخلف بمنهج السلف، للبريكان، إبراهيم بن محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1418.
- 15- التعليق على صحيح مسلم، لابن عثيمين، محمد بن صالح، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى.
- 16- تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، محمد الطاهر، دار سحنون، الطبعة الثانية .
- 17- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تقديم يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- 18- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، لابن تيمية -رحمه الله- ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، دار أطلس.
- 19- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، الدار القومية العربية للطباعة، القاهرة، 1384.
- 20- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.
- 21- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
- 22- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1414.
- 23- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية -رحمه الله- ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تحقيق: د. علي الألمعي وآخرون، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى.
- 24- الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح، للألوسي، نعمان بن محمود البغدادي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار الجيل، الطبعة الأولى.
- 25- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لقوام السنة الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي تحقيق: محمد مدخلي، ومحمد أبو رحيم، دار الراية، الطبعة الأولى.

- 26- اهتمام علماء المسلمين بعقيدة السلف، للعجمي، د. أبو اليزيد، ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد (15)، عام 1406هـ
- 27- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أمين دمج، دار الفكر، بيروت.
- 28- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية - رحمه الله - ، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الثانية.
- 29- الدرّة البهية شرح العقيدة التائية في حل المشكلة القدرية، للسعدي، عبد الرحمن بن ناصر، دار المعارف، الرياض، 1406.
- 30- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، دار ابن قاسم، الرياض، الطبعة الأولى.
- 31- ذم التأويل، لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، 1406.
- 32- الرد على الزنادقة والجهمية فيما شككت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، للإمام أحمد، بن حنبل، تحقيق: دغش العجمي، دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى.
- 33- الرد على المخالف من أصول الإسلام، لبكر بن عبد الله أبو زيد، ضمن كتاب الردود، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى.
- 34- الرد على المنطقيين، لابن تيمية - رحمه الله - ، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، إدارة ترجمان السنة لاهور، باكستان، الطبعة الثانية.
- 35- رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل، لابن تيمية - رحمه الله - ، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، ضمن مجموع الفتاوى.
- 36- الرسالة التدمرية، لابن تيمية - رحمه الله - ، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام، تحقيق: محمد السعوي، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية.
- 37- زاد المعاد، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة عشر.
- 38- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي، دار بيت الأفكار الدولية، طبعة عام 1419.
- 39- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة، دار بيت الأفكار الدولية، طبعة عام 1419.

- 40- سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن، تحقيق: فواز زمري، خالد العلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
- 41- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم، للالكائي، أبي القاسم هبة الله الحسن بن منصور الطبري الرازي، تحقيق: أحمد الحمدان، دار طيبة، الرياض.
- 42- شرح السنة، للبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.
- 43- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية، الثانية.
- 44- شرح صحيح مسلم، للنووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407.
- 45- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار المعرفة، بيروت، 1398.
- 46- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، دار بيت الأفكار الدولية، الرياض، طبعة عام 1419.
- 47- صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، دار بيت الأفكار الدولية، الرياض، طبعة عام 1419.
- 48- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، للصابوني، أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن تحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة، الطبعة الثانية، 1419.
- 49- علم الملل ومناهج العلماء فيه، لأحمد جود، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى.
- 50- العلم والبحث العلمي، لحسين رشوان، المكتب الجامعي، الإسكندرية.
- 51- فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى.
- 52- فقه التعامل مع المخالف، للطريقي، د. عبد الله بن إبراهيم، دار الوطن، الطبعة الأولى.
- 53- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد، تحقيق: عادل العزازي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى.

- 54- الفوائد، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: عامر علي ياسين، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى.
- 55- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي، دار الفكر، بيروت، طبعة عام 1415.
- 56- الكافية في الجدل، لإمام الحرمين الجويني، أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، طبع بمطبعة عيسى البابي، القاهرة 1399هـ/ 1979م
- 57- كتاب الجامع في السنن والآداب والحكم والمغازي والتاريخ وغير ذلك، للقيرواني، أبي محمد بن عبد الله ابن أبي زيد، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية.
- 58- كتاب الشريعة، للآجري أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله، تحقيق: عبد الله الدميحي، دار الوطن، الطبعة الثانية.
- 59- لسان العرب، لابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف.
- 60- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، للسفاري، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- 61- مجموع الفتاوى، لابن تيمية -رحمه الله- ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، جمع عبدالرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، عام 1412.
- 62- مجموع مقالات وفتاوى متنوعة، لابن باز، عبدالعزيز بن عبد الله، جمع محمد الشويعر، طبعة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الثانية.
- 63- مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية -رحمه الله- ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، طبعة عام 1385.
- 64- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، لبعض علماء نجد الأعلام، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية.
- 65- مختار الصحاح، للرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، تحقيق: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة، الحادية عشر.
- 66- مدارج السالكين، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.
- 67- المستدرك على الصحيحين، للحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم، مصور عن طبعة دار المعرف النظامية، بجيدر آباد- الهند.

- 68- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى.
- 69- مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، للعقل، د. ناصر بن عبد الكريم، الرياض، الطبعة الثانية.
- 70- مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، 1977.
- 71- مناهج البحث في العقيدة، للسعيد، يوسف بن محمد، ضمن مجلة الدراسات العربية، تصدر عن كلية دار العلوم جامعة المنيا، العدد (7)، 2002.
- 72- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمد عطا وعبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 73- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية - رحمه الله - ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى.
- 74- منهج ابن تيمية - رحمه الله - في الدعوة، د. عبد الله بن رشيد الحوشاني، دار أشبيليا، الطبعة الأولى.
- 75- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الطبعة الخامسة.
- 76- منهج البحث العلمي عند العرب، لجلال موسى، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى.
- 77- المنهج السلفي: تعريفه، تاريخه، مجالاته، قواعده، خصائصه، للقوسي، د. مفرح بن سليمان، دار الفضيلة، الطبعة الأولى.
- 78- منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة إلى نهاية القرن الثالث الهجري، للحنيني، د. ناصر بن يحيى، مركز الفكر المعاصر، الرياض، 1431.
- 79- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، للسلمي، د. محمد بن صامل، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى.
- 80- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل في التوحيد، للدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد، تحقيق: رشيد الألمعي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، 1418.
- 81- نقض المنطق، لابن تيمية - رحمه الله - ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، بتعليق محمد بن عبدالرزاق حمزة، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، طبعة عام 1370.

82- هداية الحيارى في أحوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، تحقيق:
أحمد الحاج، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.